المحاضرة الرابعة: أهم التناولات النظرية حول الصدمة النفسية (تابع)

محتوي المحاضرة:

التناول السايكاتري للصدمة النفسية

النموذج الإدماجي للضغط الصدمي

خاتمة

أهداف المحاضرة:

تقديم وجهات النظر المختلفة التي تناولت المفهوم.

الأدوات المستعملة في المحاضرة:

مطبوعة المحاضرات.

الصبورة للشرح.

.3. التناول السايكاتري للصدمة النفسية:

هذا الاتجاه كرسته التناولات السايكاترية الأمريكية والتي توجهت أكثر نحو البحث عن الارتباط بين أحداث الحياة والإصابات العقلية، فكان تركيزها أكثر على الأبعاد الصدمية للحدث الصدمي. ولم يخرج مفهوم الصدمة النفسية عن إطار وقوع مفاجئ لحدث عنيف وغير معتاد يحتمل أن يسبب عند المصاب انقلابا مؤقتا أو دائما في تنظيمه النفسي، قد يشمل أنماط تفكيره حول نفسه وحول محيطه، وقد يظهر على شكل اضطراب دال في التوظيف الاجتماعي والمهني أو انهيار ذاتي وعائلي (Cordier, Sylvester et Lurie, 1994, p2). نجد في هذا الاتجاه:

حيث نجد Mc Cubbin (1983) : يرى أن الحدث الصدمي الكارثي هو "كل تهديد مفاجئ وعنيف للحياة ومرتبط بحالة عجز وإختلال وفقدان التحكم" (In Adwwin, 1994, p171).

تعريف النسخة الثالثة المعدلة للدليل التشخيصي DSM IIIr (1987) Diagnostic Statistical Manual: الصدمة تعرف على أنها تجربة خارجية عن نطاق التجارب الإنسانية، بمعنى أن الحدث يستلزم أن يتضمن مستويات دالة من المعاناة لمعظم الناس حتى يوصف بأنه صدمة.

لكن انتقد هذا التعريف كونه لا يعرف بما هي التجربة الخارجية عن نطاق التجارب الإنسانية، هل هي الأحداث النادرة وغير الاعتيادية أم هي تلك الأحداث العنيفة التي تجتاح التكيف الإنساني مع الحياة .(Gershuiny and Thayer, 1999, p 633).

تعريف النسخة الرابعة للدليل التشخيصي (1994) DSM IV: على الضوء انتقاد تعريف DSM IIIrللصدمة أصبح التعريف الحالي للصدمة كمايلي: تحدث صدمة عندما يعيش الشخص أو يشاهد أو يواجه حادث أو حوادث، تتضمن خطر الموت أو التهديد به إصابة خطيرة أو تهديد للسلامة الجسمية والنفسية للذات والأقارب أو أناس آخرون. تكون استجابته عبارة عن خوف شديد ورعب وأيضا عجز وفقدان التحكم .(Gershuiny and Thayer, 1999, p 633).

العديد من الباحثين يرون أنه أكثر صرامة وإجرائية وأقل إزعاجا في فكرة عدم اعتيادية الحدث الصدمي ويأخذ بعين الاعتبار استجابة الفرد اتجاه الصدمة وبالتالي يوسع مجال ما يمكن أن يكون صدمة ليشمل الكثير من ضغوط الحياة شرط أن يستجاب لها بالرعب والعجز .(Gershuiny and Thayer, 1999, p 633).

لكن هناك تعريفات للصدمة يمكن أن تنطبق على العديد من الأحداث والضغوط بما فيها الأحداث والوضعيات الممتدة في الزمن، بمعنى عدم توفيرها على شرطي العنف والفجائية معا. كتعريف الصدمة على أنها تلك الأحداث التي تحطم اعتقادات ومسلمات الأفراد حول معنى الحياة وتوقعاتهم حول العالم.

تحدث Eptein (1991) عن أربع مخططات معرفية يمكن أن تتحطم بسبب الأحداث الصدمية وهي:

. الإيمان بطيبة وسلامة العالم. . الثقة في الناس.

. إمكانية العدالة (عدل الحياة). . خلود الذات (القدرة القصوى للذات).

وهي معتقدات ضمنية في حياة معظم الناس وتعتبر أساسية في السير الوظيفي العادي، وتأتي الأحداث الصدمية لتجعل الفرد يواجه محدودية هذه الأفكار الوجودية، ويواجه ضعفه وهشاشته، ومن خلال التحليل المعرفي للحدث يطور نظرية جديدة حول العالم وحول نفسه تدمج الصدمة وما أحدثته من تغيير (Adwwin, 1994, p172).

غير أن Adwwin (1994) ترى أن تعريف الصدمة لابد أن يختلف عن باقي الضغوط بحيث تتضمن فقط أحداث مهددة بإصابة خطيرة أو تؤدي إلى فقدان الحياة، وهي عادة ما تكون مفاجئة وغالبا ما تحدث للجماعات، وترى أن تعريف الصدمة بهذا الشكل له إيجابيات عديدة:

1. تسمح بالتعريف الموضوعي على مختلف الصدمات، فرغم أهمية العوامل الشخصية والتاريخ الشخصي إلا أن الكارثة هي المفسر الأكبر للصدمة.

2. الصدمة بهذا التعريف تتطلب وتستدعي تنشيط كلي لمصادر وإمكانيات الفرد من أجل الحفاظ على البقاء مثل مصادر استراتيجيات التعامل (coping).

3. الصدمة تعاش بمشاعر مختلفة عن ما يعاش في باقي الضغوط وحتى الأحداث الحياتية الكبرى (Major Life Events).

فالاستثارة الفائقة وعودة المشاهد في حالة الـ PTSD مثلا مرتبطة غالبا بالمواجهات أو الصدمات الكبرى وليس مع الوضعيات الضاغطة.(Adwwin, 1994, p 172).

لكن اختلاف وتنوع استجابات الأفراد اتجاه الحدث الواحد، جعل الكفة لصالح الفكرة القائلة أن الحدث الصدمي يبقى تجربة ذاتية إلى درجة كبيرة، فرغم أهمية الحدث الصدمي إلا أنأخذ المعاش الذاتي للتجربة الصدمية بعين الاعتبار يعتبر تطور سمح بوصف بعض الأحداث على أنها صدمة حتى لو لم تكن مسببة للمعاناة لمعظم الناس بل لبعضهم فقط.

4.النموذج الإدماجي للضغط الصدمي:Integrative Model Of Traumatic Stress

تطور التناول الحادثي البحث للصدمة إلى مفهوم الضغط، وأصبح يهتم بعوامل الضغط النفسي الإجتماعي مثل الحوادث الخطيرة وظروف المعاناة الممتدة في الزمن أو ظروف صعبة يمكن أن تتسبب في ظهور إضطرابات جديدة أو تسبب تفاقم اضطرابات كانت موجودة من قبل. هذا التناول يدخل في إطار العمل على وصف نموذج إدماجي تفاعلي لتفسيير الضغط الصدمي مستفيدا من مختلف التناولات في ميدان البحوث حول الضغط والصدمة النفسية.(Wilson, 1999, p18). وفي هذا المنظور نجد Wilson (1999) يشير إلى تعريف Folkman و Lazarus (1984) للأحداث الصدمية على أنها صانعة الضغوط، وهي غالبا ما تكون أحداث وتجارب تتحدى مصادر التعامل coping لدى الفرد ويعلق عليه: فيما أن هناك أنواعا مختلفة من الضغوط، والتي يمكن أن يكون لها أثار متنوعة على الأفراد وذلك حسب ما تسببه من أضرار في قدرات التكيف لدى الفرد أو ما تخلفه من إصابات جسمية ونفسية، فإن أقرب مفهوم من ما يسمى عوامل الضغط هو مفهوم الهشاشة أو قابلية التعرض للضغط، بحيث يمكن تصور

الأحداث الضاغطة ممتدة نظريا على خط مستمر حسب مدى قوتها للعمل كأحداث صادمة، فيكون في الطرف الأول الحدث غير الضاغط وغير الصدمي بالنسبة لمعظم الناس، وفي الطرف الآخر الحدث الصدمي المسبب للضغط بالنسبة لمعظم الناس.

ويمكن أن يفهم من هذا التصور أن كل فرد له عتبة معينة من الاحتمال أمام أنواع مختلفة من الضغوط، رغم أن بعض الضغوط تحمل معدل عال من الخطورة أكثر من غيرها.

وينتهي Wilson (1999) إلى وصف الحدث الصدمي على أنه "تلك التجربة التي يعيش فيها الشخص ضغطا خارجيا، يتسبب في إختلاف حالته الطبيعية، محدثا إصابة قد تكون صدمية بدرجات متفاوتة من المعاناة وفي مدة زمنية متفاوتة، حسب طبيعة الشخص، طبيعة التجربة الصدمية، حجم المصادر الفردية والمصادر الاجتماعية المتوفرة للشفاء والصحة النفسية.

ويؤكد على أن اختلاف استجابة الأفراد اتجاه التجارب الصدمية ترجع إلى عدة أبعاد أهمها:

أ. أبعاد التجربة الصدمية.

ب . أبعاد الوسط بعد الصدمي.

ج . الأبعاد الشخصية.

4.2. أبعاد التجربة الصدمية:

أ.1. درجة تهديد الحياة في الحدث الصدمي.

أ.2.درجة الحزن والحداد الذي تسببه الفقدانات البشرية (الأقارب والأعزاء).

أ.3.مدة وشدة وخطورة الحدث تاضاغط.

أ.4.مستوى الانتقال وحدوث تغيرات في حياة الفرد داخل جماعته.

أ.5التعرض للموت، الإصابة، التحطيم، والانهيار الاجتماعي.

أ.6درجة الصراع الفكري المتضمن في الوضعية الصدمية.

أ.7.دور الشخص أثناء الصدمة، فاعل أو ضحية.

أ.8.مكان أو موقع الصدمة، داخل أو خارج البيت.

أ.9.تعقد الحادث الصدمي، فريد أو متعدد.

أ.10.الآثار الجماعية للصدمة.

ويرى أن أكثر الأبعاد حاضرة في أغلب الأحداث الصدمية، ومعظمها قادر على خلق نتائج باثولوجية. ويؤكد على إختلاف التجربة الصدمية الفردية عن التجربة الصدمية الجماعية، بحيث إذا كانت التجربة الصدمية الفردية تسبب الشعور بالعجز والرعب وتجعل الفرد في حالة هشاشة، فإن التجارب الصدمية الجماعية يمكن أن تكون أخطر حيث أنها لا تعرض حياة الناجون إلى

درجات عالية من الخطر والموت وتحطيم فقط، بل وتلغي العديد من الأنظمة الاجتماعية والثقافية الضرورية للوقاية والعودة إلى حالة الصحة والسلامة (Erikson;1976.in) . Wilson, 1999, pp2-18

كما يشير إلى إختلاف الأحداث الصدمية في بنيتها، ويميز بين الضغوط الفردية ويرى أنها نادرة ونمطية وأكثرها جروح جسمية، بينما الضغوط الجماعية (الحروب، المواجهات...) فتتضمن العديد من عوامل الضغط المهددة بالموت أو الإصابة خاصة في الحالات المعقدة، أين تتعدد الاختيارات الصراعية وتكون البدائل في التعامل مع الحدث الصدمي غامضة.

4.2. ب أبعاد الوسط بعد الصدمة:

يشير Wilson (1999) إلى تصنيف Braodly لأربعة أبعاد في الوسط ما بعد الصدمة يمكن أن تحدد اتجاه تطور عواقب الضغوط أو الصدمات.

ب .1.المستوى الاقتصادي الاجتماعي وحجم الدعم العائلي الذي تصوره (Lindy, 1988, cite par Wilson, 1999)كعضوية واقية من الضغوط والإصابات..

ب .2.مدى توفر واحتواء الثقافة على عادات، طقوس وإمكانيات لمساعدة الأشخاص الذين يعانون من مشاكل انفعالية بسبب صدمات (Van Der Kant, 1983, in Wilson, 1999, pp2-18) ,

تختلف الثقافات في ثراء وطبيعة وتكرار الطقوس الموجهة للاستشفاء ومساعدة المصدومين (Wilson and Stren, 1988, in Wilson, 1999, pp2-18) ,

ب . 3. الموقف الاجتماعي والسياسي اتجاه الضحايا المصدومين هو عامل بيئ هام وحتمي في الشفاء وتخطي التجربة الصدمية.

ب .4. مدى توفر مصادر وهياكل توفر العلاج وتسهل إدماج الضحايا داخل المجتمع والثقافة عن طريق اختيار العلاج المناسب وتحمل المسؤوليات الشخصية وإعادة تحديد معالم.

4.2. الأبعاد الشخصية:

يعتبرها Wilson محددا أساسا في صدمية الحدث أو عدم صدميته وهي تتضمن الدوافع، الإعتقادات، القيم، البنية المعرفية، المزاج، النمط التكيفي والدفاعي، وحتى الميزات الجينية للفرد.

وهي حسب Wilson و Arnaoff (1988) مرتبطة مباشرة بطريقة المعالجة المعرفية للمعلومة' وخاصة في اكتساب والإدراك وتحديد الأهداف في ترميز المعلومة انطلاقا من الوضعيات، بما فيها الانتباه الإنتقائي ومرونة البحث من أجل الوصول إلى مخطط معرفي، يقيم مستوى الطموح والمخاطرة، وأيضا سلوك حل المشكل (Wilson & Arnaoff, 1988, in Wilson, 1999, pp2-18)

فعندما تكون خصائص الشخصية منظمة حول حاجات ذات توجه لا آمن وقلق وتبعية سلوكية وحاجة إلى التقدير والإعتراف أو المدح، فإن النمط المعرفي تحت الضغط يظهر محدودية في إدراك المنبهات، مؤثرا مباشر على معالجة المعلومة وصياغة مخطط الاستجابة. بينما خصائص الشخصية ذات التوجه نحو رفع تقدير الذات والكفاءة والحاجة للانجاز والتحكم الداخلي، فالنمط المعرفي أمام الضغط يميل إلى زيادة وتوسيع البحث عن خصائص الضاغط، فيكون هناك حذر في معالجة المعلومة، ويتمكن من إيجاد حل للمشكل بفعالية، أو بإفراط في الحذر والانتباه، وهذا تبعا للكيفية التي أدرك وأدمج بها الضاغط أو الصدمة. كما أن الشخص الذي لا يشعر بالأمان، وله اعتقادات فكرية صلبة، يقع اكثر من غيره في معاناة انفعالية كبيرة، تتضمن صراعا فكريا وانهيارا معرفيا، وشعور بالذنب واستثارة فيزيولوجية مفرطة، سواء مباشرة بعد تعرضه لصدمة أو بعد فترة كمون (Wilson, 1999, pp2-18.) .

خاتمة:

بعد عرض مختلف النظريات التي حاولت تفسير الظاهرة نقدم في المحاضرة التالية مختلف أعراض الصدمة النفسية.